الصَديق الدّائِم

كنيسة مارجرجس – سبورتنج

كُتيب صغير بين يديك، ولكنه مملوء بالاختبارات الروحية، إنه مرآة لحياتنا مع أنفسنا ومعاملاتنا مع الآخرين. هذه الحياة التي يصحبها أحيانًا النجاح وأحيانًا الفشل وأحيانًا الانحراف...

... ويقف الإنسان في وسط هذه الأمواج المتخبطة ينشد بر الأمان ورضاء الله.

ولكن سرعان ما يكشف لنا هذا الكتيب عن وجود صديق دائم لا يحبنا فقط ونحن قديسين، بل بالأكثر ونحن خطاة – لأنه أب.

وعن طريق تعاملنا مع هذا الصديق الدائم، نستطيع أن نحدد مسار تعاملنا مع الآخرين. كذلك عن طريق هذا الصديق الدائم نستطيع أن نعالج مواضيع النجاح والفشل واليأس... الخ في حياتنا.

إن هذا الكتيب يحتاج للقراءة والتطبيق مرات عديدة. الله يجعله بركة لكل أحد اختار أن يكون يسوع صديقًا دائمًا له، وأن يبارك السيدة/ إيزيس ميخائيل أسعد التي تعبت في ترجمته آمين.

عيد السيدة العذراء – حالة الحديد

١٩٧٧/٦/٢٨ – ٢١ بؤونة

القمص بيشوي كامل

الصديق الدائم

مقدمة:

عالم اليوم لم يتغير عن عالم الأمس، هو عالم مجنون – مجنون باهتمامات الجسد، وشهوة العيون وتعظم المعيشة.

وإنسان هذا العالم يبحث عن السعادة دون جدوى فأطماعه لا تعدو أن تكون مجرد قشور سوف تتساقط بمرور الأيام. والعجيب أن الإنسان ينمو في السن والعمر ولكن محبته للعالم تجعله يبقى كالطفل الذي يلعب بأشياء لا قيمة لها وعندما تضيع منه هذه الأشياء يغضب ويبكي وأحيانًا يلعن الله نفسه لأن غباءه قد أعمى عينيه. ولكن لو علم الإنسان أن السعادة هي في الله وحده الدائم الذي لا يزول لو علم ذلك لطلب الله بكل جرأة.

ولكن للأسف فإنسان هذا العالم لا يجد الوقت للمجيء إلى الله ليتلامس بحنان مع يديه المثقوبتين ولكن بجهل يستهزئ بالرب يسوع وبتعاليمه ويُطارد من خلال أعماله الشريرة وحياته الضائعة رجل الأوجاع الوديع حامل خطايا العالم كله.

والسعادة التي يجري وراءها إنسان هذا العالم لا تعدو أن تكون شقاء مطلي بالذهب ينتهي بفراغ عظيم يملأ حياته... وهذه هي شكوى إنسان العالم اليوم الذي لا ينقصه شيء مادي... إنها شكوى الفراغ.

كُتب هذا الكتاب كي يساعدنا في تحويل أنظارنا إلى ربنا يسوع المسيح حينما نجري في وسط برية هذه الحياة. ونقدم هذا الكتاب لكي يعرف العالم أن يسوع هو وهو وحده الصديق الدائم الذي يجهلونه، والذي وحده يسد كل حاجاتهم ومطامعهم التي غالبًا ما تقودهم إلى الجنون...

كذلك نقدم هذا الكتاب إلى النفوس المُحبة ليسوع ليروي عطشها إليه.

الأب فرنسيس ب. لابيف

(١) لقد فات الأوان

"صالح هو الرب حصني في يوم الضيق

وهو يعرف المتوكلين عليه" (نا ١: ٧).

عندما تحوِّل حياة الخطية جميع جهود الإنسان ومواهبه وقوته وشجاعته إلى رماد سوف أتساءل: كيف يكون في الإمكان جمع ذلك الرماد وخلق كائن جديد يستطيع أن يأخذ مكانًا ملائمًا ضمن الذين لا يعرفون الخطية؟!

هكذا كتبت إحدى الشخصيات التي ذاقت مآسي الحياة وجذبت حياتها الخطية ووقفت على قمة السنين يائسة، ووقّعت على هذه الرسالة باسمها... «**المسكينة سارة**» لقد كانت المسكينة سارة تتوسل من أجل النجاة من ظلام ليلها الأعمى، كانت تتحسس بخوف لعلها تجد شخصًا ما يقودها إلى أشعة شمس الله، شخصًا ما يستطيع أن يزيح السحب التي أظلمت روحها. وبدأت تطلب إلى الله بشفاعة العذراء مريم ملجأ الخطاة، أن يكون اليوم مثل يوم جديد يأتي ولا تنظر أبدًا إلى الوراء، **ولكن كيف يحدث هذا بعد فوات الأوان؟**

هذه المسكينة بحُكمها على قلبها الحزين قد فقدت هذا المنقذ الوحيد... ألا **وهو ثقتها بالله.** يا لقلة معرفة «سارة الخاطئة» عن صديقها الدائم **ومحبته الثابتة التي لا تنتظر سابق محبتنا.** لقد نسيت قصة المجدلية التي كانت حياتها الخاطئة على ألسنة الجميع، وأصبحت قداستها يُكرز بها عبر الأجيال، لقد نسيت بطرس حينما أنكر سيده بقسم وأقسم أنه لا يعرفه على الإطلاق ومع ذلك أصبح فيما بعد رسول سيده والكارز باسمه على الأرض. لقد نسيت المشهد في الجليل عندما نادى «صديقها الدائم» وقال: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم". فإذا كانت خطاياك مثل القرمز ستبيض كالثلج والصوف الأبيض. نسيت أيضًا يسوع المصلوب وذراعيه الممتدين ونداءه قائلاً: "أنا عطشان". يسوع الإله المتجسد محب النفوس، عطشان إلى النفوس التي أخطأت فهم الحياة أمثال سارة الخاطئة – إلى

النفوس التي تحطمت بعجلة الحياة وتبعت أشباح الثراء ومباهج الحياة وكانت مُعرّضة أن تقول: **لقد فات الأوان...**

إن الحياة مملوءة بالمآسي وأعظمها هو هذا النداء «لقد فات الأوان». ربما نكون قد بددنا حياتنا أو خُنّا محبة إلهنا لنا، أو ربما قد سيطرت على حياتنا آلهة كاذبة مؤدية إلى هلاكنا، أو ربما قد نشرنا الدمار في يقظتنا عندما نندفع بإرادتنا حيثما تنادينا مباهج الحياة أو محبة السلطة ولكن بالرغم من كل هذا فهو ينادينا كما فعل مع شعبه في العهد القديم: "أنا الله الصالح أمنح القوة في وقت الضيق وأعرف الذين يتكلون عليَّ لأني أنا كما هو حتى في شيخوختك وأقودك في كِبَر سنك، أنا هو الذي صنعك وسأحملك، سأحمل وأنقذ"...

ربما تكون حياتنا مليئة بالأخطار ولكن «بحنان يديه المثقوبتين» سيُعيد ما كُسر ويداوي الجراح. **فالخطية الوحيدة التي لا يجب ارتكابها هي هذا النداء المخيف «لقد فات الأوان».**

يا ربي يسوع المسيح المحب لنفسي دون تزعزع إني أشعر أحيانًا أنه لا فائدة في محاولة جديدة... كم من مرة حاولت ولكن دون جدوى! ولكني أعلم أنه من الخطأ إنكار محبتك الدائمة وأعلم أن أبشع خطية أستطيع ارتكابها هي فقد رجائي فيك وبالرغم من كل هذا فإني أفقده أحيانًا. يا ربي يسوع الحبيب من فضلك لا تسمح بهذا، فالبرغم من شدة ضعف إرادتي وضخامة خطيتي وابتعادي عنك فلا تدعني أبدًا أقول "لقد فات الأوان" – بل دعني أنظر كيف تُغرق نعمتك قلبي – نعمتك التي في الضعف تكمل.

✞ ✞ ✞

(٢) امنحهم فرصة

"فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا

أيضًا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع

المسيح فمن أنا أقادرٌ أن أمنع الله"

(أع ١١: ١٧).

إن المسجونين الذين أُطلق سراحهم يقابلون صعوبات كثيرة لأنه لا يوجد مَن يعطيهم فرصة أخرى في الحياة. فبمجرد وقوع إنسان في جريمة ومجازاته وصدور حكم عليه، يبدو للكثيرين أن قد صار موصومًا بالعار طريد المجتمع ومنبوذًا. وهو أيضًا يواجه عالمًا قوامه أفرادًا يتوقون إلى إسقاط عيوبهم عليه لذلك لا يجد تساهلاً من هؤلاء الناس لكي يمنحوه فرصة أخرى.

أما نحن أبناء الله الذين يجثون كل ليلة طالبين المغفرة، فإننا ننحني كل أسبوع أمام المذبح للتناول من الأسرار المقدسة فلا يمنعنا الكاهن أبدًا، والله يعطينا وسيعطينا دائمًا فرصًا أخرى، وينزع من قلوبنا هذا الخوف الرهيب حتى لو كثرت خطايانا.

لذلك يجب علينا أن نغفر زلات الآخرين ولا نبغض العفو عنهم. فمثلاً عندما يسيء الزوج إلى زوجته يجب ألا ترده خائبًا بعد أن شعر بالندم الذي نبع من قلب حزين. وعندما يضل الابن طريقه عمدًا كما يفعل أبناء كثيرون يجب على الوالدين الإسراع في انتشاله من وهدة الخطية، ومسح دموع الندم حتى يشعر هؤلاء الأبناء أن لديهم فرصة أخرى، ويشعر الأب والأم بالزهو تجاهم. وكما هو الحال أيضًا بالنسبة للصديق والصديق، والمعلم والتلميذ والسيد والخادم والمخدوم والمستخدم... يجب على الجميع أن يتعلموا منح أشقائهم الضعفاء فرصة أخرى – عندما يضل أحدهم طريقه ويندم ندمًا حقيقيًا بلا رياء.

أحيانًا يصبح السماح من الصعب، وأحيانًا يصبح النسيان أصعب. ولكننا نصلي كل يوم قائلين: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا" إذًا

فقدوتنا الله في المغفرة ولدينا هذا القياس الملقن ذاتيًا من قِبل الله لسماحنا حتى نسرع في إعطاء الآخرين «فرصة أخرى».

يا ربي يسوع الحبيب يا غافر الخطايا التي عرفتها قلوبنا يجب أن أحاول حقًا بمعونتك إعطاء فرصة للآخرين كما أعطيتني أنت. فأنت الذي تتألم من أجل أقوالنا وأفعالنا لأنك أنت الإله، فلماذا إذًا ابغض السماح والنسيان؟! أنا الذي أتوق إلى عفو ونسيان عيوبي الكثيرة. هل أجرؤ أن أكون أقل احتمالاً منك يا إلهي؟! امنحني إذًا النعمة حتى أشكل طرقي حسب طرقك وأعطي فرصة أخرى للجميع!...

✞ ✞ ✞

(٣) جهود ضائعة

"وكان يهوذا مُسلِّمه أيضًا واقفًا معهم"

(يو ١٨: ٥).

"فأنكره (بطرس) قائلاً: لست أعرفه يا امرأة"

(لو ٢٢: ٥٧).

"حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا"

(مت ٢٦: ٥٦).

«ما الفائدة يا أبتاه!! هل يوجد أمل في النجاح بعد كل تلك الجهود العظيمة». هكذا سأل أحد الشبان الكاهن عندما كانا يتناقشان في آمال السنين الضائعة. لقد عملوا بجهد وكدّوا ساهرين وكانت تتشدد خُطاهم ببركة الله وتنبئ بثمار الخير من أجل النفوس. ولكن الآخرين سدوا الطريق، وأحبطوا خُطاهم، وهزوا رؤوسهم آسفين عندما طلبوا منهم العون.

ألم يحدث هذا مع سيدنا عندما رفع رأسه المُكللة شوكًا عند صلبوته قائلاً: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟"

لقد علَّم سرًا الاثني عشر المختارين لمدة ثلاث سنين طوال، لقد علَّمهم دروسًا كل يوم وأوضح لهم عمليًا ما كان يعلمه شفويًا. وعندما انتهى التعليم الشاق لمدة ثلاث سنوات سلّمه أحد تلاميذه المقربين، وأنكره آخر، وهربوا جميعًا كان عمله المدرسي غير ناجح مائة في المائة... ولا عجب في مناجاة أبيه السماوي أن يزيح عنه هذا الكأس!!

هذا الشعور بالجهود الضائعة والإحباط الشديد أحيانًا ما نشعر به نحن وربما بعمق. يحرم الآباء أنفسهم من مباهج الحياة ويطلبون في صلواتهم عند شروق الشمس وغروبها كي ما يصبح أطفالهم أقوياء بالجسد والروح مُقربين لله. ولكن يأتي اليوم الذي ينسى فيه الشباب تعاليم السنين المبكرة ويتهللون بالذهاب إلى عالميات

طائشة. وهل تقترب الأم أو الأب إلى سيدنا المتألم بعد ذلك طالبين منه أن يهدي قلوبهم الضالة الحزينة؟!

يحاول المعلم في الفصل أن يعد الأطفال لحياة مقبلة مُثمرة وربما بانتهاء الفترة المدرسية يظهر أسفه عندما تظهر الاختبارات الأخيرة – فما شعور المعلم؟! وماذا عن الإله الذي بعد أن علم تلاميذه ثلاث سنوات يشاهدهم وهم يفشلون فشلاً ذريعًا؟!

ينطبق هذا أيضًا على جميع الجهود الأخرى في الحياة... في المجال العملي حيث تجني الجهود المُضنية أرباحًا ضئيلة هكذا أيضًا بالنسبة للمهن حيث الساعات الطويلة والعمل الدائب والعرفان الضئيل من إخواننا. وفي حياتنا الاجتماعية حيث تُترجم الجهود البريئة لتحسين أنفسنا إلى أطماع غير لائقة.

في كل تلك الجهود التي تبدو ضائعة – عبر السنين الماضية – يجب الإسراع إلى سيدنا في خشوع بجانبه في آلامه، أو الوقوف تحت صليبه. متوسلين إليه من خلال جهوده التي ضيعها التلاميذ **أن يُقوي قلوبنا لتحمُّل تجارب هزيمتنا.**

يا ربي يسوع الحبيب ما أكثر الطعنات في قلبك القدوس عندما عُلقت على الصليب وشاهدت ما كان يبدو للناس حياة ضائعة ومخدوعة. كم حاولت استرداد اليهود فاحتقروك؟! وتسببوا في صلبك!!! وأنت الذي دربت تلاميذك وعلمتهم يوميًا.. فأسلمك واحد!! وأنكرك آخر!! وهربت البقية الباقية خوفًا من القبض عليهم معك!! ما أصعب هذا يا سيدي يسوع!! ربي أتضرع إليك بحق آلامك المقدسة أن تتذكر جهودي المعروفة الضائعة، عندما أضعها بجانب جهودك أنت. كي تقدسها وأصبح قادرًا مرة أخرى على مواصلة الجهاد والنضال.

✞ ✞ ✞

(٤) سكون الله

"لأنـه هكذا قـال السيد الـرب قـدوس

إسرائيل. بالرجوع والسكون تخلصون

بالـهـدوء والطمـأنـينـة تكـون قـوتكم"

(إش ٣٠: ١٥).

ابتعد هذا الرجل عن صخب المدينة وشق طريقه جالسًا في سكون قرى الله متأملاً الطبيعة والمياه الساكنة وكان يفكر...

ففي تلك الإرسالية التي كان يجلس بجانب مدخلها، عاش أتقياء أدوا أعمالهم بهدوء وحضرت لهم نفوسًا بهذا الهدوء الشديد راجعة أيضًا مثلما حضرت. بينما يندفع محبو العالم نحو الطريق الضال حيث يناضلون في مدنها المزدحمة من أجل الذهب والمجد والمتعة والمهرجانات البراقة، وكأن كل هذا ذا قيمة. ويُخيل إليهم أنهم قد أحرزوا نصرًا أكبر! وتعلو الهتافات الصاخبة والمشاحنات القوية ويقولون: لقد عمل هذا الرجل النشط في العالم ولكن عندما يهدأ الإنسان إلى نفسه في سكون الله يقول: "وماذا بعد هذا الضجيج؟!".

إنه من المُجدي أن نختلي بأنفسنا هكذا من وقتٍ لآخر كي نختبر نفوسنا في السكون كما تغنى الشاعر قائلاً: "ضجيج العالم يدوي في أذني... حمدًا لله من أجل ضجيج العالم". لأنه وسط الضوضاء والاندفاع يذهب بعضنا لكسب عيشه والبعض الآخر يرفع يده لإنقاذ البشرية وآخر يحاول تخفيف الآلام – أو بمعنى أصح يناجي نعمة الله كي تحل في النفوس المتعبة. ولكن يجب الابتعاد عن ضوضاء العالم من وقت لآخر والاختلاء بأنفسنا حتى نقف برهة ونستمع إلى الله وحده.

فنحن نحتاج إلى سكون الله بغض النظر عن مكان عيشنا أو ماهية أعمالنا. أحيانًا نستطيع الاختلاء بأنفسنا فنجد السكون حقًا في الجسد والنفس بعيدًا عن روتين الحياة.

يجب إذًا دفع أنفسنا إلى هذا الهدوء الذي سُمي بحق (طريق النفس) – ولكن نادرًا ما يكون هذا الامتياز من نصيبنا!! ولكننا في أشد الاحتياج إلى هذه الخلوة التي هي حقًا – مسكن الشجاع. ونحصل على هذه الوحدة وهذا السكون عندما **نجثو في الصلاة ونطرح الحياة بأكملها جانبًا ويبقى الله وحده.**

عندما تقشعر قلوبنا بمآسي الحياة، وعندما يقلقنا أحباؤنا بفتورهم وابتعادهم عن الله، وعندما ينهار صميم الحياة ويبدو العالم كله رأسًا على عقب!

نلجأ إلى الصلاة بقوة ونجثو عند أقدام الصليب بحرارة، حينئذٍ نحصل على سكون الله، ونسكن معه وحده، ونتفهم نظرته للأشياء، فنعود للحياة وكلنا نشاط. نواجه مشاكلنا أكثر تحملاً وندرك أن ضوضاء الحياة ستنتهي سريعًا ثم تأتي السكينة والسعادة مع الله.

يا ربي يسوع الحبيب واهب العطايا امنحني النعمة كي أسرع إليك دائمًا حتى أحصل على راحة من ضجيج هذا العالم. فأنا مضطر للعمل وسط هذه الضوضاء وأعمل وسط شغبها بينما يثقل عليَّ حمل صلبان الحياة. ولكن يجب أن أتذكر أنه حيثما أكون منفردًا أستطيع أن أجد التعزية والقوة الدائمة وتكاد ضوضاء الحياة أن تبعدني عنك. ولكن لا يجب أن أقع في هذا الشرك. سوف أهرع إلى أحضانك وأتوسل إليك في سكينة وخلوة الصلاة تستطيع أن تمنحني المساعدة التي أنت وحدك مصدرها. وبالأحرى سآتي إليك بمشاكلي وأثقالي في منزلك الأرضي – الكنيسة المقدسة – وأسكب لك قلبي بانسحاق في هدوء حضرة سرك الأقدس. فأرجو يا ربي وسيدي الحبيب تحدث معي واقم قلبي بين سكونك.

✞ ✞ ✞

(٥) الاتحاد بالله قوة

"إن كان الله معنا فمن علينا" (رو ٨: ٣١)

قالت إحدى القديسات منذ سنين "إن ملكت هذه الأربعة جنيهات فهي لا شيء، أما إن ملكتهم والله معي فهُم أكثر من الضرورة". قالت تلك الكلمات عندما اتهمهما الناس لأنها كانت تحاول المستحيل. كانت تحاول إنشاء دير ولكن الكثير أحبط خطتها ولم يحاول أحد مساعدتها. لقد كانت تملك أربع جنيهات فقط وليس لديها طعام ولكنها تعلمت أن «**الاتحاد بالله قوة**». ربما لا تتفق خطط الناس مع خطتها ولكن تدابيرها كانت من قِبل الله. ولماذا تخشى عدم تدبير الله لخطتها؟ لقد كانت تسهر وتصلي وكانت صامدة ولكن بكل وداعة كما هو الحال بالنسبة للأتقياء عندما يعلمون أن الله مرشدهم. هكذا مضت شهور طويلة وتغيرت قلوب الناس وانتصرت خطط الله.

كثيرًا ما نقلق، وأحيانًا ربما لا نتذكر الحقيقة المُلحة وراء كلمات هذه القديسة، ربما يكون دخلي ضئيلاً حقًا. وتتكتل الناس عليَّ ولكن لا يهم هذا طالما ناجيت الله وطلبته جانبي.

الآباء يخافون على أولادهم من تيارات العالم التي تحارب نفوسهم فما العمل وهم منهوكي القوى، قليلي الخبرة، غير معتادين على خداع العالم الحديث.

ماذا يفعلون لإنقاذ أبنائهم؟ طبعًا يدبرون ويخططون ويسهرون بتيقظ ولكن بلا جدوى يجب أن يجثوا عند أقدام الصليب طالبين من الله حماية أبنائهم الذين هم أولاده أيضًا.

في مجالات العمل يدبر الأشخاص المكرة سحقي وتحطيمي والإيقاع بي في المشاكل حتى أفقد كل شيء ويصبح المستقبل ظلامًا حقًا وتصبح الزوجة والأولاد في حاجة إلى رعاية... بالطبع أمكث ساهرًا لكي أرد كيد اللصوص ويبدو أنني لن أنتصر بمفردي ولكن "**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني**" فباشتراك الله معي سأجاهد بكل قوة وأنتصر.

وكثيرًا منا أيضًا لديه خططًا على نطاق كبير أو صغير نعتقد أنها ستفيدنا وتفيد غيرنا ونجاهد بكل عزم ولكن تسير الأمور ضدنا... ففي البيت أو الفصل، في مجتمعنا الصغير أو مؤسساتنا الكبيرة ندرك أن خطتنا المدبرة بإحكام على وشك الانهيار. ماذا إذًا؟! هل نخشى المحظور أو نطلب عون الله لكي يأخذ أعمالنا كلها على عاتقه؟ بالطبع سنناجيه ونحقق بعد ذلك الفوز لأن لا شيء مستحيل لديه بل كل شيء مستطاع لدى الله.

ربما يبدو حتى في النهاية أننا ننتصر انتصارًا ملحوظًا، ويبدو للناس ولنا أيضًا أننا قد خسرنا الميدان. ولكن هذا ظاهريًا فقط. فالله معنا وحينما تتعارض الظروف معنا اليوم وغدًا طبقًا لقِصر نظرتنا للأشياء نؤمن أننا قد انتصرنا الانتصار العظيم لأننا نعمل باستقامة وصدق وشجاعة من أجل الله لأنه من المستحيل التغلب عليَّ والله معي.

يا ربي يسوع الحبيب لقد وجد الكثير تعارضًا شديدًا في هذا العالم لما هو صالح حتى أن معظمنا على وشك مغادرة الميدان. فأنت تعلم مدى اجتهادي أحيانًا لكي أخدمك وأُبقي آخرين على خدمتك، وكيف أحاول إرجاع البعض الآخر إلى محبتك... ولكن أحيانًا كثيرة جدًا أعتقد أن لديَّ الأسباب القوية لفشل جهودي. لذلك يا سيدي الحبيب دعني أتذكر طلب معونتك عندما أشرع في أي خطة أو أي عمل نافع حتى تكون أنت شريكًا لي لا تدعني أنجرف في القلق على النتائج، وعندما يثقل الحمل لا تسمح بانشغالي ولكن ثبت ثقتي لأن الاتحاد معك يا الله قوة ساحقة.

✞ ✞ ✞

(٦) هيبة الله

"كنت معك حيثما ذهبت" (٢ مل ٧: ٩).

حياة القديس المملوءة بالخشوع والوقار تظهر واضحة في كل تصرفاته وأيضًا عندما يقف في حضرة الله. ونحن ندرك كل هذا فنقف أمامهم بكل هيبة واحترام لهذه القوة التي بعثت فيهم نطلب صلواتهم وبركاتهم.

هذا هو الحال أيضًا لأولاد الله الأتقياء حيثما وُجدوا. في الدير أو في المنزل، في الفصل أو في المحاضرة، في العمل أو في ساعات الراحة، فكل كلماتهم وتصرفاتهم وأعمالهم تشير إلى وجود آخر يملك عليهم ويهابونه – بلا شك هو الله الساكن فيهم وهم أيضًا في حضرته بشكل ملحوظ. مع ذلك فهم لا يذكرونه بألسنتهم إذ أنه متحد بهم وتتطبع صفاته وتواضعه في حياتهم.

هل يوجد في حياتي هذا الشعور القوي بالهيبة أمام حضرة الله الأزلية؟! لا داعي لتصنيع هذا الخشوع لأنه لا يلصق من الخارج. بل يجب أن يكون نموًا وديعًا وهادئًا تنبع جذوره الدفينة من هذا الإدراك الداخلي لعين الله المتيقظة، ووجوده المطلق.

هل فكري دائمًا منشغل بدون انقطاع بأن الله موجود في كل مكان؟ إذا ذهبت إلى عمق المحيط أجده أمامي، وإذا تسلقت الجبل لأصل إلى قمته يزداد وجوده معي، وعندما أمكث بالمنزل هناك يكون معي، وعندما أذهب إلى الخارج لا أتركه ورائي، في السوق أجده وسط نداءات الناس، وعندما أذهب للترفيه البريء في حجرة الرسم أو على شاطيء البحر أو الطريق أجده هناك.

الله موجود في كل مكان وفي كل زمان. عندما تشرق الشمس يكون الله على الأرض ومع من خلقهم ليساعدهم في أعمالهم، وفي الظهيرة يشفق الله على الناس وهم في راحة من أعمالهم ويعطيهم سلامًا وهدوءً (كما استراح هو في اليوم السابع). يأتي ظلام الليل على عالم متعب. وكما تراقب الأم أطفالها بحنان وهم نيام، كذلك

الله يعطي أحباءه نومًا «ويغلق الجفون المتعبة على الأعين المتعبة» ويحرس أطفاله وهم نيام.

الذي يفكر بوجود الله الدائم في حياته بكل تأكيد هو إنسان وقور، **فلا يُغضب الله بتصرفاته بل يتصرف كما يليق بالقديسين،** لأنه دائمًا أمام ملك الملوك ورب الأرباب لهذا فهو يتجنب كل خطيئة وفوق ذلك **يسلك مسلك النبلاء لأنه متحد بالله.** ويُطلق أيضًا عليه لقب قديس، لأن القداسة ما هي إلا اتحاد بالله وخشوع في حضرته.

يا إلهي الحبيب كم من مرة حاولت تفسير هذا الخشوع الكامن في أولادك القديسين عند مقابلتي لهم فأنا أعرف الجواب الآن هو خشوع الحاشية لمليكهم!

وأنا أيضًا أشتاق أن أكون مثلهم. فأتوسل إليك يا إلهي أن تمنحني إدراك وجودك المستمر في كل لحظات حياتي، وفي كل أعمالي... كل تصرفاتي وحيثما أكون... امنحني هذه النعمة كي أدرك أنك يا إلهي أمامي في كل حين وعن يميني تنظر إليّ بدون انقطاع وأنا أيضًا أنظر إليك. حينئذٍ سأكون أنا أيضًا قديسًا ووقورًا في حضرتك الدائمة.

✞ ✞ ✞

(٧) ذكر الماضي

"واذكر أنك كنت عبدًا في مصر ففداك

الرب إلهك من هناك" (تث ٢٤: ١٨).

«عندما تدين آخرين، هل تتذكر أنت مدى بعدك عن مُثلك العُليا ومدى الهوة التي تفصل بينكما في الوقت الحالي؟». لقد سقط كثيرون ونحن نقول عنهم «كان ينبغي ألا يحدث هذا» وآخرون غير أوفياء للأهداف السامية ونحن نسخر منهم؟!

تمعن في نفسك وراجع ما كان أن تتفوه به وما يجب أن تكون أنت عليه – توقف وانظر... عندئذٍ تنحني الرأس خجلاً وتنبعث كلمات نادمة من فم منسحق "لن أتحدث هكذا فيما بعد".

في العهد القديم أوصى الله اليهود أن يكونوا رحماء مترفقين بالعبيد والفقراء ويذكرون احتياجاتهم لماذا؟! لأنهم هم أنفسهم كانوا تحت وطأة العبودية وذاقوا مرارة الفقر. ثم نزل الله إليهم في فقرهم وعبوديتهم وأنقذهم. والآن عندما يتذكرون أتعابهم وأحزانهم التي كانوا يعانون منها سوف تسكن الرأفة والرحمة في قلوبهم من أجل الذين يسلكون طريقًا وعرًا وشاقًا.

هكذا أيضًا بالنسبة لنا فإننا لن نقسو على الآخرين عندما نتذكر أنفسنا في أيام التجارب والشكوك، في ساعات أحزاننا وأوقات تعثرنا، في مشاكلنا وترددنا وفشلنا وسقوطنا. عندما يفكر الآباء في نقائصهم في شبابهم سوف يتحملون بصبرٍ أكبر نقائص صغارهم عندما تلح نداءات الحرية الطائشة على الشباب البراق النشط، يتذكر الآباء شبابهم ومدى إغراء نداء العالم وازدرائهم لنصائح الأكبر سنًا عندئذٍ سوف يتفهمون تمامًا تلك النفوس الملحة التي يجب حكمها وحراستها. من ثم سيصبحون مصدر شفقة لهؤلاء الأبناء الشباب وينقذونهم من مطبات الحياة.

ينطبق هذا أيضًا على المعلم في الفصل، عندما يستعيد كآبة حياته كتلميذ صغير ومدى انقباضه عند سماع جرس المدرسة، وبهجته عند انطلاقه للعب، حينئذٍ

سوف يتحمل المدرس اضطرابات تلاميذه عندما يبغضون الدراسة مثلما كان عليه تمامًا.

كذلك ينطبق الحال بالنسبة للذين يقذفون كلماتهم بوقاحة، سوف يزول اللوم الشديد من شفاهنا عندما نتذكر أن الكلمات القاسية ستؤدي إلى تمرد أكثر. وعندما يخطيء أحد ويتحاشى الاعتراف، سوف نذكر الكلمات الرحومة التي قادتنا إلى الاعتراف، فلنتذكر فقط سبل قلوبنا الضعيفة، إذ سيكون من نصيبنا لمسة شفاء عند احتياج الآخرين.

يا ربي يسوع الحبيب، أريد أن أكون أكثر صبرًا مع الآخرين الذين يسيئون إليَّ باسترجاع نقائصي، سأتحمل أتعابهم عند استرجاع أتعابي واللمسة الحنونة التي خففتها. ولكني أسهو وأفقد السيطرة على نفسي، ويتألم الآخرون وتسوء الحالة، ولكن ينبغي التخلص من هذا. امنحني إذًا يا سيدي الحبيب النعمة لكي أتذكر الماضي دائمًا فتتحسن الأوضاع.

✞ ✞ ✞

(٨) لا تستسلم أبدًا

"وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة

أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل

وأُنجي" **(إش ٤٦: ٤).**

«هل تتخلى عني أبدًا يا أبتاه؟» نبعت تلك الكلمات من قلب مرعوب من ضعفه ومن فقد القبضة القوية التي كانت تمنعه من الانزلاق المُحتم في وحل الخطيئة التي كانت تحيطه. جاهد الشاب وتاب عن الكثير والفضل للكاهن، ولكن ثقل الحياة كان أقوى منه. ففي صميم قلبه توجد الرغبة الحقيقية من أجل الخير، وقد اعتز بصداقة كاهن الله أكثر من أي شيء في العالم. ومع ذلك فكانت الحياة قاسية للغاية، وكان الكاهن يعلم ذلك جيدًا إذ انبعث كلماته قوية ورحومة وأكيدة عند مقابلته لهذا الشاب المكافح: «دعك من هذا «يا ابني» حتى أراك في أمان مع الله».

وعندما طلب الشاب العون من الكاهن كشف له الكاهن أنه ذاته يناجي الله نفسه: "لا تتخلى عني أبدًا يا الله بالرغم من كثرة خطاياي وسهوي عن محبتك". وكان الله يجيبه دائمًا: "وإلى شيخوختك أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأُنجي" اذهب يا ابني حيثما أردت – فأنت ابني الحبيب – وأكّن لك أكثر مما تكّنه الأم، سأتبعك وأشدك مرة ثانية، لن أتخلى عنك أبدًا يا ابني.

"هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك. هوذا على كفي نقشتك" (إش ٤٩: ١٥–١٦).

إنه لعزاء عظيم أن ندرك هذا، ومع ذلك فنحن نتشكك أحيانًا **ففي أوقات القداسة نعتقد بكل ثقة أن الله يحبنا لقداستنا، ولكن عندما نخطىء مرة أخرى ونغفل عن «الحبيب الهائل» نشعر أنه يكرهنا،** ويبغضنا على عدم ثباتنا ونكراننا الجميل. **وفي أثناء ذلك ننسى أن الله يحبنا لأننا ملكه.** فهو يريد محبتنا لأننا فقط صُنع يديه وثمرة آلامه وموته على الصليب – وليس لأننا نستحق هذه المحبة. وأنه بالطبع يبتهج من أجل أولاده القديسين المنشغلين به دائمًا، ولكن عندما يأتي تمردنا

فهو لايزال يحبنا لأنه أبونا، ولم يستقبل أبدًا أبًا متلهفًا ابنًا ضالاً مثلما فعل الله تجاه خطواتنا العنيدة، وبغض النظر عن مكان وجودنا، أو ضخامة وكثرة خطايانا، فأبونا لايزال يحبنا لأنه فقط أبونا "ويريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".

عندما يجربنا إبليس ويضعف من عزمنا ويضخم خطايانا المظلمة ويُحقِّر سُبلنا العنيدة فلندعو الله ونلجأ إليه من أجل نفوسنا فهو لن يبعد عنا أبدًا – إلا أنه ينتظر دائمًا نداءنا. فهو ينتظرنا ونعمته الصالحة هي هي التي أدت إلى هذا النداء أن ينبعث منا ومتلهفًا على رجوع أولاده كي يعيد سكب محبته لهم مرة ثانية "لأنه لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه".

يا ربي يسوع الحبيب، إنه لعزاء كبير لقلبي الضعيف عندما أعلم أنك صديقي الدائم. وبمرور الأيام تتغير طباعي، وأعتزم المحاولة يومًا وأحاول فعلاً، وعند إشراق اليوم التالي يتبخر كل هذا... وتأتي النقائص العديدة، وربما الخطيئة، تصبح نفسي بعد ذلك مملوءة خوفًا من فقد حبيبها إلى الأبد إذ يكون قد تعب من هذه الطرق الطفولية المتعمدة ولكن يا ربي يسوع الحبيب في تلك اللحظات المخيفة، عند إدراك خطاياي المعتمدة فلتذكرني دائمًا لأنك لازلت تحبني وتريد توبتي والرجوع إليك ثانية. ومن أجل نفسي في ساعات الظلام فلتجعلني أتذكر دائمًا وعودك الصادقة الأمينة وهذه الحقيقة الواحدة وهي أنك لن تتخلى عني أبدًا.

✞ ✞ ✞

(٩) كيف نتحدث عن الله

"... نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله" (أع ٢: ١١).

"بينما كان التلاميذ مجتمعين معًا بنفسٍ واحدة، صار بغتةً من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، ونزل الروح القدس بشكل ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم". لقد كان التلاميذ مجموعة من الناس: فقراء وبسطاء وخائفين من اليهود فامتلأ الجميع من الروح القدس الذي حوَّلهم إلى كارزين مملوئين شجاعة من أجل كلمة الله.

امتلأت أورشليم بالرجال والنساء من جميع أنحاء العالم المعروف، أناس غرباء من الشمال والجنوب والشرق والغرب، وسمعوا بطرس والرسل الآخرين يتحدثون بلغاتهم، واستقوا البشارة المفرحة العظيمة وهي التوبة وفداء الجميع .. فقد وُلدت الكنيسة في هذا اليوم العظيم. وبدأ بطرس والرسل يتحدثون للجموع بلغاتهم عن أعمال الله العجيبة، وهكذا انتشرت كلمة الرب بسرعة لتأتي بكل نفس لمعرفة الله ومحبته وخدمته. ما أعظمه درس لنا أجمعين، كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته على انفراد. إنه ليس بكافيًا أن نوصف الله ونحدِّث الناس عنه، ولكن يجب أن نتحدث عن الله بلغة الناس وبطريقتهم. يجب البحث عن أفكار الناس، وطرقهم وميولهم، ونقدم لهم الله ومحبته بالطريقة التي تناسبهم. فهو أزلي وتستطيع جاذبيته اللانهائية جذب كل قلب، بالرغم من بعد رغباته وعاداته.

ولكن توجد لغة واحدة يفهمها الجميع هي لغة الأعمال، فإذا تحدثنا عن الله بسلوكنا وأعمالنا فسنردهم إليه. فيجب مواساة الحزانى ولمس نفوسهم بحنان مثلما تفعل الأم حتى ترتفع رؤوسهم مرة أخرى لتشاهد الله. يأتي الخطاة وغبار الحياة قد ملأ نفوسهم، فيجب علينا إذًا الإشفاق عليهم كي نساعدهم حتى لا ينزلقوا مرة أخرى، بل يتسلقوا الدرجات متوجهين إلى عرش الله ومبتعدين عن وادي الدموع. يجب الحنو بصبر لا نهاية له على المتكبرين والمتمردين الذين يقذفون الله في ضيقاتهم، ولا

نستسلم لردودهم القاسية وعتاباتهم، فهم سيتعلمون يومًا كراهية إعوجاجهم وستتغير نظرتهم إلى الله الرحوم الذي أرسل لهم صديقًا كهذا.

إنه لمن المستحب التحدث عن الله، ولكن أعلى حديث هو معايشة طرقه من خلال حياتنا حتى نتحدث عن أعماله العجيبة. فالنداء المرتفع الوحيد الذي يجذب كل نفس بشرية في المنزل، أو في العمل، أو أثناء اللعب، أو في المدرسة، أو في الحياة العامة هو هذا الصوت الفصيح الذي يشير إلى حياة الإنسان التي يقودها الله. عندئذٍ سيفهمنا الآخرين إذ أننا نتحدث لكل واحد منهم بلغته هو.

يا ربي يسوع الحبيب، إن أقرب شيء إلى قلبي هي تلك الرغبة القوية في إحضار النفوس إليك. وأحيانًا أبغي التحدث بكل فصاحة عنك إما بالكتابة أو التحدث، حتى أجذب نفوسًا أنت عطشان إليها، ولكن هذا ليس من المستطاع دائمًا. دعني أتعلم هذا الدرس الحيوي ألا وهو التحدث عنك بالطريقة التي أستطيعها دائمًا، والتي يستطيعون فهمها. دعني أنمو حتى أكون شريكًا لك – وأقول هذا بكل خشوع – حتى يعرفوك برؤيتهم لي، وأكون رسالتك المقروءة من جميع الناس، ونور وملح للعالم كله. هكذا سأتحدث إليهم بكل إقناع وبلغاتهم عن الأعمال المستقيمة وعن عظمة محبتك وأعمالك العجيبة.

✞ ✞ ✞

(١٠) إلى أين؟!

تذكر أيها الإنسان أنك تراب وإلى تراب تعود. تمتلئ الكنيسة المقدسة بالأغنياء والفقراء، بالشباب والشيوخ. إنه خليط عجيب دائمًا يتجمع حول مذبح الله.

والكنيسة الأم بردائها الوقور– أمام المذبح، تنادي أولادها من وسط الأمور الزائلة وآلام العالم الشديدة – تنادي أولادها بإصرار رقيق وشاف لكيما يتبصر أولادها في واقع الحياة بأعين مستقيمة متفهمين أمرها لكيما تبعث في أولادها بحياة كلها رويّة واتزان... وعند انحناء كل رأس ورفع كل يد للصلاة تبصم الكنيسة كل جبهة بعلامة الموت، قائلة لكل واحد "تذكر أيها الإنسان أنك تراب وإلى تراب تعود".

ما أعظم بركة هذه الأم الواعية التي لا تغفل أن تعلمنا عن مصدرنا الوضيع ونهايتنا الحقيرة، حتى لا يلتهم الكبرياء قلوبنا أو تحطمها الأحزان. ففي مُستهل حياة الشاب تبدو الحياة وكأنها أزلية مليئة بثقة متناهية، ثم تأخذ الكنيسة هذه اليد التي كانت تفيض شراهة على الملذات الزائلة. وتذكرها بهذه الساعة الأخيرة التي لا يهرب منها أحد.

✞ وتهمس الكنيسة بتلك الساعة الرهيبة لذوي الخبرة والكفاءة وهم في أوج مجدهم لكي يزيحوا عنهم أثقال الحياة بشجاعة.

✞ وتتحدث للفقراء عن الأيام المقبلة حتى يمتلكون ثراء الله الذي لا حد له، إذ يمتلكونه بوفرة أكبر عند تكريس ساعات العوز في هذا الوادي – وادي الدموع.

✞ وتتحدث للأغنياء عن الأكفان بدلاً من الحلي، وعن الدود الذي يزحف على الألسن التي ذاقت أشهى الأطعمة، والأعين التي لم تُحرِّم على نفسها شيئًا.

وبالرغم من الحائط الرقيق الذي يفصل بيننا وبين الموت، فإننا دائمًا نسهو عن هذه الحقيقة... «إننا من تراب»... نجد أنفسنا أقوياء مملوئين شجاعة يومًا، واليوم التالي غير قادرين على مساعدة أنفسنا في شيء، لأن المرض هجم علينا فجأة. في يوم نذهب إلى أعمالنا، واليوم التالي مقيدين في أسِرَّة الألم... وبالرغم من هذا ففي عنفوان صحتنا نفرد أجنحتنا وكأن هذه القوة لن تزول أبدًا – هذه هي قصة

حياتنا المتقلبة لذا ترفع الكنيسة الأم يدها محذرة تنبه أطفالها المستهترين، المتغافلين، المتهاونين بأن الموت ليس ببعيد.

يا ربي يسوع الحبيب، ما أعظم شروري...

فالموت يحصرني من كل جانب وأنا غافل عنه، فبالأمس تركني صديق واليوم تركني آخر، ومع ذلك فلم يطرأ بذهني أنني ربما أذهب غدًا. لذلك أشكرك يا إلهي الحبيب لأنك تذكرني بكل وضوح وصراحة أنني تراب وسأعود إليه حتمًا يومًا ما.

✞ ✞ ✞

(١١) صراحتنا مع الله

"واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه

بكل شيء كل ما فعلوا وكل ما علَّموا"

(مر ٦: ٣٠).

منذ سنين طويلة كُنا في طفولتنا نجري إلى أمهاتنا لنخبرهن بما يحدث لنا. وبمرور السنين أصبح الأصدقاء هم مركز ثقتنا، نسكب في آذانهم القصص المتكررة لأحزاننا وآلامنا. وتزداد أفراحنا بمشاركتهم لنا وتخف آلامنا عند معرفتهم إياها.

هكذا عاد الرسل إلى ربنا يسوع بعد الرحلة التبشيرية الأولى فقد أرسلهم ليبشروا الناس بمجيئه، وقد ذهبوا ورجعوا ليخبروه بكل شيء. وكان بطرس هناك وأيضًا يوحنا ويعقوب وباقي الاثني عشر. كل واحد يقص له باهتمام ما فعل وما قال وكيف استمع الناس لتبشيره. لقد تحدثوا بتهور واستمع السيد إلى قصصهم بحنان ورأفة... يجب علينا أيضًا أن نتعلم ونعمل مثلهم ونحدث الرب يسوع بكل شيء مهما كان. أحيانًا تنزلق الكلمات على ألسنتنا ويصبح من السهل التحدث في حضرته. ونُسَّر بذلك لأنه يبتسم لنا، فهو يعلم طفولة قلوبنا... كيف أنها تنفجر سعادة من أجل الأشياء البسيطة التي تمر وتزول. وأحيانًا تتعثر حياتنا ونقف مرتعدين لما تخفيه لنا الساعة المقبلة، ونجد من الصعوبة سحب خطواتنا المثقلة لنقول له كلمة واحدة... "ولكن هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا ضرب فيجبرنا" (هو ٦: ١). إذ أننا بكل تأكيد محتاجون إلى الشفاء، سنجثو أمامه بتوسل، صامتين بآلامنا أو بالمخاوف التي تحيطنا... حينئذٍ سيمد يديه الطاهرتين ويلمس بها نفوسنا فيجعلها قوية مرة أخرى حتى تجاهد من جديد.

يا ربي يسوع الحبيب، أنت تعلم طبائع القلب البشري الغريبة المتقلبة. فأنت الذي خلقته وتعرف طبائعه جيدًا، وتعلم أننا إذا ابتغينا النجاة فلابد من كشف حالنا أمامك. إنه من السهل جدًا أن نسرع إلى حضرتك المقدسة ونتحدث عن مباهجنا التافهة وأحزاننا، ولكن أحيانًا نجده من الصعب جدًا لأن الآلام التي أرسلتها ثقيلة

جدًا، وتبدو كأنك بعيدًا جدًا. لكن امنحنا يا سيدنا الحبيب أن نلجأ إليك دائمًا ونتحدث بكل شيء مهما كان مفرحًا أو محزنًا بكل صراحة لننال الشفاء والفرح الروحي.

✞ ✞ ✞

(١٢) الحنان الخفي

"وأنا درجت أفرايم مُمسكًا إياهم بأذرعهم

فلم يعرفوا أني شفيتهم" (هو ١١: ٣).

من إحدى المفاجآت السارة التي نكتشفها في حياتنا عندما نصل إلى مرحلة البلوغ، هي تلك الآثار الخفية لعناية واهتمام الآباء. كانت تلك الأشياء في ذلك الحين أمرًا مفروضًا عليهم، فمن الطبيعي مراعاة الأم احتياجاتنا البسيطة، وتلطيف آلامنا الطفيفة. كذلك كان من المفروض أن الأب هو المعطي السخي لأفضل الهدايا. ولكن بمرور الزمن اكتشفنا طرق محبتهم كلها... إذ تخفي كل يوم حنانًا جديدًا، فعندما نتمعن في أمور الحياة وتظهر جميع التضحيات .. تظهر تضحيات الأم وحرمانها من مباهج عديدة، نكتشف الساعات المكرسة عند انتظارنا بالبيت، أو عند جلوسها بجانبنا مخففة من آلامنا مضحية بنفسها لإسعادنا. ونعلم أيضًا تضحيات الأب العظيمة حتى يصير أطفاله أفضل منه، كي يتمتعوا بثراء العقل والبدن التي تمنحها الحياة ويملأهم بالإيمان الراسخ، هذا الكنز الثمين الذي يتركه لهم. هكذا عندما نصل إلى السماء نجد أن الكنز الثمين الذي يتركه لهم. هكذا عندما نصل إلى السماء نجد أن إحدى المفاجآت العظيمة التي كانت على الأرض. هو أن الله كان يكرر مساعدته لنا بغير علمنا. هذا الهدوء الهائل والمفاجآت العظيمة سنكتشفها في الأبدية، وهكذا عندما ندرك الآن هذه الأمور سننقي قلوبنا من أجل محبته لنا. لكن لماذا ننتظر السماء؟! لماذا نجثو أمامه هنا ونتذكر أيامنا الماضية كي نختبر حنان الله؟! ستظهر المباهج مبعث سرورنا، ونعلم السبب الذي من أجله أرسلها الله. وأحيانًا تقع ظلال في طريقنا ويبدو الظلام في حياتنا، ولكننا سرعان ما ندرك الآن بكل وضوح أن تلك الظلال أُرسلت بسماح من الله لحمايتنا من شهوات العالم. فأحيانًا فجأة ينتقل لنا صديق في الوقت الذي نكون فيه قد أدركنا قيمة صداقتنا، وكان من القسوة علينا أن نقبل وجهه قبلة الوداع الأخير، لكن بتعزيات الله لنا، أصبحنا ندرك معنى الموت وأدركنا أن صديقنا الآن جاثيًا أمام عرش الله. لذا

يجب تذكر الماضي من ساعة إلى أخرى، ومن يوم إلى آخر ونلتقط من هنا وهناك صدق حنان الله الغير ملحوظ الطويل الأمد.

يا ربي يسوع الحبيب، لقد مرت الحياة وأنا مثل طفل غير مدرك، فأخذت كل ما أرسلته لي ونادرًا ما شكرتك بخشوع. وحزنت على ما فقدت أو ما أُخذ مني متضايقًا من كل شيء. ولكني أدرك الآن وبوضوح أكثر هذه العناية الحانية الغير متكلفة التي كانت تحمي جميع أيام حياتي.

يا ربي يسوع الحبيب، اجعلني في كل يوم يمر أدرك حنانك بوضوح أكثر، وبالرغم من معرفتي الضئيلة أشكرك من كل قلبي لأجل حنانك الخفي.

✞ ✞ ✞

(١٣) نفوذنا

"ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف" **(خر ١: ٨).**

كان فرعون صديقًا مخلصًا لليهود، لأن يوسف كان صديقًا مخلصًا لفرعون، وأخبره كيف تقضي سنين الثراء على سنين القحط عندما كانت المجاعة توشك أن تحل وتنتشر وتحدث تمرد. بعد ذلك توفى فرعون، وكذلك يوسف. ولسنين طويلة كان يذكر البيت الملكي هذه الصداقة وكثر عدد اليهود وأصبح يخشى من قوتهم، وحدث تغيرًا عظيمًا وحكمت ملوك غرباء جدد، ولم تصبح إسرائيل في المقدمة لأن نفوذها قد انتهى، وأشرف أسياد قساة على الشعب وجعلوا حياتهم كئيبة وأعمالهم شاقة في الطين والطوب وثقلوا عليهم بجميع أنواع الأعمال الأرضية.

تُحل مسائل عديدة في الحياة بكل أسف عن طريق النفوذ، ويقع النفوذ في دائرة ذوي المراكز العالية عندما يشيرون إلى أمثالهم لمساعدة صديق. هنا يرغبون وظيفة، وهناك يريدون التراخي بالمدرسة والبحث عن عفو من عمل كريه. فالكل يسير على ما يرام طالما يستمر نفوذنا، ولكن ما أشد قلقنا من سقوط هؤلاء الذين يساعدوننا، أو استبدالهم بغيرنا.

هذا هو الطريق البغيض للحياة اليومية. ولكن شكرًا لله على الشئون الهامة في نفوسنا، فلن يأتي وقت يستطيع فيه ملك أرضي أن يشرف فيه علينا، فملكنا هو المسيح سيدنا – الذي فيه تقع دائرة نفوذنا وعنده نجد دائمًا استماعًا حانيًا. لن يأتي الوقت الذي نكون فيه قلقين على مساعدتنا إلا في ذلك اليوم الذي يفاجئنا فيه الموت ونحن في الخطية. إذا حفظنا وصاياه وحاولنا إرضاءه سيصبح بالطبع التجاؤنا إليه كل يوم ترحابًا منه لنا. وبالرغم من خطايانا وعدم طاعتنا له فهو لا يزال يريد رجوعنا حتى لا يسكب دمه الكريم هباء. نستطيع أن نذهب إليه في أيام قداستنا وهو يعضد صلواتنا، ولكن في ساعة الخطية لايزال يرفع يديه المثقوبتين طالبًا الغفران من أبيه السماوي "يا أبتاه اغفر لهم" لأنه ساكن دائمًا لمغفرة خطايانا.

لن نضطرب بعد ذلك من أن يأخذ الآخرون مراكزنا أو يضعفون نفوذنا معه. فمهما كان عدد الذين يذهبون إليه فعندما نذهب نحن إليه سيستمع إلينا وكأنه لا يوجد سِوانا يود مساعدته. فاهتماماتنا وأتعابنا هو يحملها عنا، ويستمع إلينا عندما نتوسل إليه، وكأنه لم يطلب أحد المساعدة سوانا ويرحب بنا بحفاوة وننال كل اهتمامه.

يا ربي يسوع الحبيب ما أعظم سعادتي عندما أعلم أن نفوذي معك لن يتغير أبدًا ولن يأخذه مني أحد. أما بالنسبة للناس فالأمر يختلف إذا راقب نفوذي معهم بكل عناية وغيرة... كل هذا لأن سلطتهم ضعيفة أم سلطتك أنت يا إلهي فهي لا نهائية ورغبتك في إنقاذ نفسي حقيقية جدًا حتى أعلم أني أستطيع دائمًا الاعتماد عليك مهما حدث. يا سيدي الحبيب أشكرك من كل قلبي لأجل نفوذي الدائم معك.

✞ ✞ ✞

(١٤) فارغ اليدين

"الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" (يو ١٦: ٢٣).

«فارغ اليدين أذهب وفارغ اليدين أعود» تكلم بهذه الكلمات أحد الرهبان عندما طلب منه القديس برنارد أن يذهب إلى السوق لشراء بعض الملح – وعندما تخوف الراهب من عدم وجود ملح قال له برنارد «يوجد من هو فوق من يمسك بمذودي (أي يدبر كل أموري المادية)». ومع ذلك تذمر الراهب ولكن من أجل الطاعة ذهب، ومكث طول الطريق الطويل متمتمًا... لكن الله الصالح – من أجل صلاحه ومن أجل ثقة القديس برنادر فيه – جعل هذا الراهب يقابل أحد القسوس بجانب القرية ويعطيه – من ذاته – مكيالاً من الملح ونقودًا كثيرة لشراء طعام. لقد ذهب حقًا فارغ اليدين ولكنه لم يرجع هكذا لأن الله نظر إلى ثقة القديس فيه.

كم من مرة فشلنا لأننا لم نثق الثقة الكافية في ربنا يسوع؟! وإن ما نعتبره أحيانًا فشلاً ذريعًا يتطلب منا إيمانًا عظيمًا لكي نقرأ فيه النجاح بمساعدة الله. وعندما نسير باستقامة في أماكن مظلمة وحجرية، يجب علينا أن نشعر أن هذا الطريق سيكون ممهدًا ونيرًا من أجل مساعدة الله وابتسامته الجذابة. وعلى كل حال... أليست هذه هي قصة النفوس التي كتبت سيرتها العظيمة عبر التاريخ في العالم أجمع؟

إنه لم يوجد في التاريخ أظلم من تلك الليلة التي انتهت بأول جمعة عظيمة. ومع ذلك ففي فجر القيامة مهد القبر المظلم إلى طريق بهاء السماء. لم تجرب نفس مثلما حدث لبولس الرسول العظيم ومطاردته من مدينة لأخرى، جلدوه، رجموه، وضعوه في السجن، ومع ذلك فقد أرعد صوته عبر الأجيال – وعن طريقه آمنت الملايين بالسيد المسيح لأن ثقة بولس لم تتزعزع. كذلك لم تكن السحب أكثر ظلامًا أو البروق أكثر اشتعالاً في بطون الأرض مثلما كانت روما عندما كانت تزدحم

«بالشهداء المسيحيين» ومع ذلك فقد انتشرت الكنيسة من روما، ودفعت نفوس كثيرة من كل بلاد العالم ضرائب باهظة من دمها ومالها وأولادها لأجل المسيح رب المجد.

كثيرًا ما نسير فارغي اليدين في وادي الدموع هذا:

فارغين من المحبة التي يجب أن تعود لنا من أقرب الناس إلينا.

فارغين من ذلك النفوذ الذي نستحقه والذي أخذ منا بسوء تصرف أو بالحيل.

ربما فارغين حتى من محصول أشياء هذا العالم الذي لا يستطيع إعطاء سعادة دائمة ولكننا نحتاج إليه لبقاء الجسد.

ربما فارغين من سلام العقل الذي تبتغيه كل نفس حتى أنها تضحي بكل شيء من أجله.

ولكن لماذا هذا التجرد؟!

✞ ألم يستطِع الله الذي أمطر المن من السماء لإشباع الجموع الجائعة إشباعنا؟!

✞ ألم يستطِع الله إرجاع الضالين مثلما فعل مع الابن الضال؟!

✞ ألم يستطِع الله استخدامنا لكي نؤدي عمله كما يريد بالرغم من قيودنا وضعف صحتنا؟!

✞ ألم يستطِع الله إعطاءنا سلام العقل والقلب الذي لا يستطيع العالم إعطاءه أو أخذه؟!

هل يستطيع؟!

للإجابة على ذلك اقرأ حياة القديسين الذين رحلوا وانتقلوا إلى أحضان الله، واستمع كذلك إلى حياة الذين يعيشون معك الآن، وتأمل كيف أن الله تدخل في حياتهم بكل وضوح عندما نفذ كل رجاء.

يا ربي يسوع المسيح إنه لمن الصعب جدًا أن أفقد الثقة فيك. وبالطبع أنا أعلم أنه لَمِن الخطأ أن أفكر في فراغ يدي لأن قوتك وإرادتك هما في ملء هاتين

اليدين. ولكن عندما يسوء كل شيء وتبدو الحياة وكأنها انقلبت، ويبدو ظلام الهاوية وكأنه يحيطني من كل جانب، فمن الصعب بعد كل هذا أن أمد يدي وأطلب العون منك يا إلهي أنا أعلم أنك هناك بلاشك ولكنني لا أستطيع الرؤيا من خلال ظلامي... يا ربي يسوع الحبيب أنر عيني لكي أراك. أو على الأقل ألمس هدب ثوبك النوراني لتؤكد لي مرة أخرى أنك بالقرب مني فتنمو ثقتي ولا أبقى فارغ اليدين.

✞ ✞ ✞

(١٥) غضب الله

"أما شعبي فقد نسيني أيامًا بلا عدد" (إر ٢: ٣٢)

"أخطأت يا أبتاه لأنني أغضبتك بعد كل هذه الرأفة التي أظهرتها لي، حنانك يؤلمني ويخجلني"... تلك هي الكلمات التي انبعثت من نفس نادمة تحاول إصلاح نفسها ومع ذلك انزلقت مرة ثانية. اعترفت مرارًا كثيرة بثقل خطاياها للأب الكاهن فلم تسمع منه أي توبيخ أو كلمة قاسية ولكن كل تشجيع وحث رقيق على ترك الخطية ومحبة الله وحده. لقد تمسكت بمثل عليا وكان الكاهن يتوقع لها حياة أفضل وإذ بها تنزلق وتسقط في الخطية مرة أخرى. **لقد نفذت فكرة خانقة لهذه النفس القلقة وهي:** "أغضبت يسوع الذي لمس نفسي بكل حنان وخدعته" نَفَذَ ذلك الإدراك بعمق إلى تلك النفس المرتعدة بأنها مصدر غضب الله.

وكذلك بالنسبة لي عندما أفشل في الحياة وتضيع آمال الذين جاهدوا بكل إخلاص من أجلي، وعندما أدرك أن كل جهودهم فشلت تتدلى رأسي خجلاً وقلبي يهبط في نفسي. مع أني أغضبت **إنسانًا** بذل جهودًا عظيمة إلا أنها كانت زائلة. لكن فكر ماذا يحدث عندما تقف أمام محاكمة الله، وتعلم أنك كنت مصدر غضب الله؟! لقد مرت السنون وفات الوقت. وفجأة سأقف أمامه للدينونة الأخيرة وأجد نفسي مصدر غضبه... لقد خطط الله وجودي منذ الأزل وشكَّل القرون والشعوب من أجل مجيئي، لقد علَّق النجوم لإعطائي البهجة وجعل الشمس بالنهار والقمر بالليل لإضاءة طرقي. وفي خلال الأزمنة وضع من أجلي وبطول أناة بساط الأرض الأخضر، وبنى الجبال الشاهقة، وشكل من أجلي شلالات المياه الهائلة، وأثار من أجلي بأصبعه مجاري المياه... كل ذلك عمل حتى أتعلم معرفته ومحبته وخدمته من كل قلبي. كل هذا كان أقل جدًا مما أعطاه لي من رأفة عندما وضع الإنسان على الأرض سابقًا، أعطاه خيرات فياضة لتبقى لي. ولكن لم يصونها آدم إذ أبعد عنه وعن أولاده نعمة الله، ولكن الله من أجل محبته استردها لنا – ويحكي صليبه القصة كلها... **بناء على هذا أستطيع قراءة محبته، وبدمه أستطيع هجاء توسله من أجل استمالة قلبي.** أرى بيت لحم ثانية وفقرها الذي يجعلني أبغض الثراء العالمي. وأرى

مشاق الناصرة وفراغها فأتعلم تجنب الفراغ والخطايا الناتجة منه؟! وتُبرز مصر من الظلام وتحذرني من طموح في إمكانه إبعاد الله نفسه حتى لا تقتل حياة طفولتي. وأنظر مرة ثانية وأقرأ بشاعة الخطية من خلال اليدين والرجلين المثقوبتين والجنب المطعون بالحربة – ومنها أرى قيمة الألم لعلاج نفسي وخلاصها. وبطول أناة ورأفة لا نهائية حاول ربنا يسوع استردادي للحياة الطاهرة والقداسة المتناهية كما يتناسب مع مجالي في الحياة. كانت نعمته تقرع قلبي بقدوم يوم جديد، وتناديني بإصرار في الصباح ووقت الظهر والمساء. كل هذا لكي أحبه وأعرفه وأخدمه جيدًا. إني أتألم من إغضاب إنسان زائل، فكم يكون مدى خجلي عندما أقف أمام صديقي الدائم وأسمعه قائلاً: "إنني كنت مصدر غضبه".

يا ربي يسوع الحبيب، لا يؤلمني شيء غير أن أكون مصدر غضب لأناس أنفقوا حياتهم من أجلي – ومع كلٍ – لا مجال للمقارنة بين ما أداه أي إنسان لي وما أديته أنت يا إلهي لقد وضعت فيَّ آمالاً عظيمة حتى أصبح قديسًا وأحبك كثيرًا وأخدمك جيدًا. ما قلت لي عن هذه الآمال. وحلت نعمتك فيَّ بغزارة كي تساعدني على الحياة طبقًا لآمالك. ولكني أعلم من قلبي أنني لست القديس الذي تريده أنت. ولكن يجب أن أكون قديسًا. يا ربي يسوع الحبيب كما أنك قدوس، فقد فعلت الكثير من أجلي وبطول أناة ورأفة وبإصرار أيضًا عندما كنت أنا على وشك التخلي عن جميع المُثل التي غرستها فيَّ. أعطني فقط قلبًا قويًا وشجاعًا، وامنحني من نعمتك الفياضة، ولا تدعني أقف أمامك أبدًا وأنا مصدر غضب لك.

✞ ✞ ✞

(١٦) إنه يفهم

"لا يعي القلب شيئًا من كل تلك الأشياء

وهو يفهم كل قلب" (سي ١٦: ٢٠).

سألت الأخت أختها الطائشة: "لماذا تحتفظي بصورة السيد المسيح على الحائط؟!" وقد كانت هذه النفس الطائشة قد تركت أطفالها الصغار وزوجها الذي ربطت مصيرها به، وابتعدت عن حياة القداسة التي كانت عليها في صباها وأجابت أختها برأس منكسة وقلب منسحق «أنه يفهم» – أي الله يفهم!

لقد أحست تلك النفس بأن في إمكانها التماس الأعذار، وحدثها إيمانها أن الله يستطيع أن يقبل أعذارها ويسامحها. وتأكدت بعقلها المظلم وإرادتها الضعيفة أن يسوع يفهم كل شيء عن أعذارها – وكانت على حق. فالخطية هي أبشع الأمور ويجب الخوف منها. ولكن عند التعامل مع الآخرين فلنحاول رؤية **الأشياء بعين الله.** لا نستطيع مغفرة الأعمال الخاطئة، أو تبرير الخطية – ولكننا نستطيع **التبصُّر** في حياة الآخرين من خلال ظلام الخطية **ونلتمس لهم الأعذار برأفة،** ونكتشف أن هذا الوميض الضئيل من الاشتياق للقداسة لا يزال حيًا فيهم، وعندما نزيل الصدأ من على حياتهم ستصبح ساطعة. عندما تجذب كل من مباهج الحياة والنضوج شبابنا، علينا أن نشفق على تلك الأيادي الجاهلة المدمرة ونساعدها حتى تبني نفسها من جديد وباستقامة وذلك بالرغم من شدة أسفنا على الدمار الذي أصابها من طول الوقت. هكذا يريدنا السيد المسيح أن نتعلم ونعمل...

الأب مع ابنه، الزوج مع زوجته، الصديق مع الصديق، والذين يساعدون كل من يرغب الراحة...

«هو يفهم» يجب أن يكون هذا الشعار الحافز في داخلنا، ويجب علينا نحن أيضًا أن نفهم كما يفهم هو. فلذلك يجب استعمال القسوة مع الحزم، الحنان مع الشدة أي أحيانًا نجرح ثم نكوي من أجل شفاء النفس، وعندما نجرح نكون مثل الطبيب الذي يجرح ليُزيل الألم.

لو أننا لم نفهم لاضطربت موازين الحياة. فتعم الفوضى في المدارس، والمنازل والأعمال...

ليتنا ننظر بعمق لنرى حياة كل فرد بما فيها من ماضٍ مشحون بالهموم، وحاضر متراكم عليه الأثقال والتجارب، عند ذلك لن نجد مجالاً للتوبيخ أو اللوم.

يا ربي يسوع الحبيب، ما أعظم احتياجي للتعلم منك كيف أعامل أقراني!!! وجود الخطية بكثرة حولنا ووجود كل ما هو كئيب ومتعمد يجعلني دائمًا على وشك التعنيف والتنديد ولكن يحدث كل هذا لأني لا أفهم. أنت أيضًا يا إلهي عنفت ولكن للمرائين والذين يدعون القداسة ولكن لم يحدث أنك ضجرت من الضعفاء الذين يحاولون تحسين أنفسهم ولو بضعف. امنحني يا سيدي النعمة كي أفهم حتى أعيد النفوس إليك.

✞ ✞ ✞